سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة فاطر]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

جمع واختيار

منى الشمري

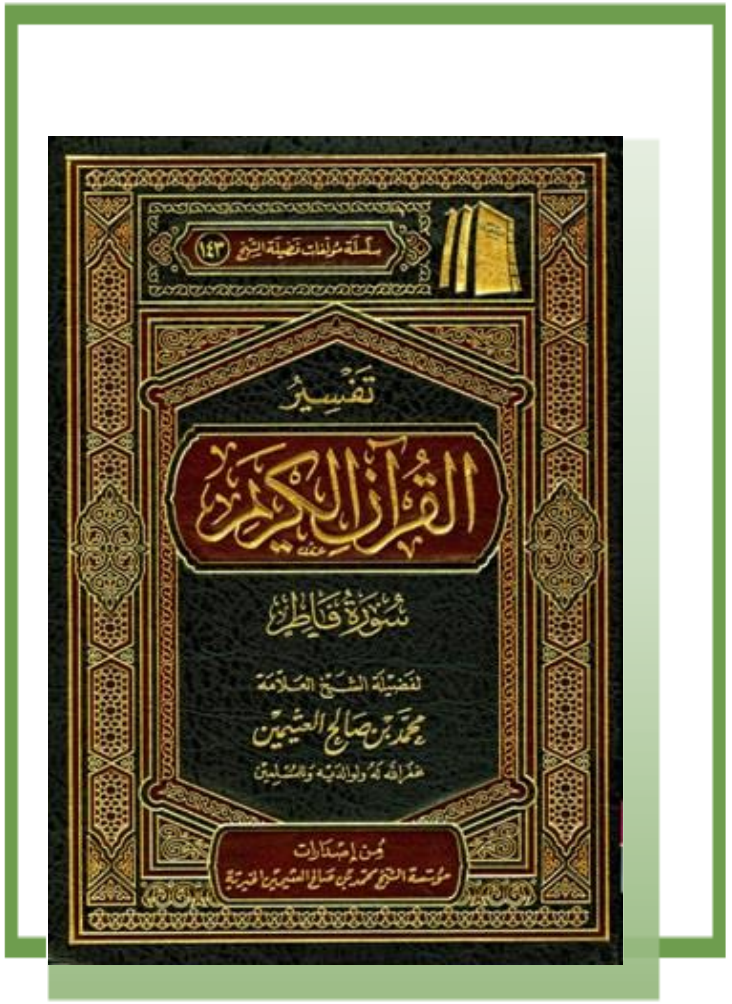

١

{الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع} [فاطر: ١]

- أن اللّه عز وجل رحيم بعباده يعلمهم كيف يحمدونه؛ لأن قوله تعالى: {الحمد للّه} خبر، لكن معناها الإرشاد والتوجيه؛ كما قال اللّه تعالى في آية أخرى: {وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك} [الإسراء: ١١١].

- إثبات اسم (اللّه) للرب عز وجل، وهذا الإسم خاص به، لا يقال لغيره، وهو أصل الأسماء؛ ولذلك تأتي الأسماء بعده في الغالب صفة له، ولا تأتي سابقة عليه إلا نادرا كما في قوله تعالى: {إلى صراط العزيز الحميد (١) اللّه الذي له ما في السماوات} [إبراهيم: ١ - ٢] وإلا فإن الغالب أن الأسماء تأتي تابعة له، فهو أصل الأسماء؛ ولهذا لا يسمى به غيره أبدا لا علما ولا صفة بأي حال من الأحوال.

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فاطر ص ٢٠

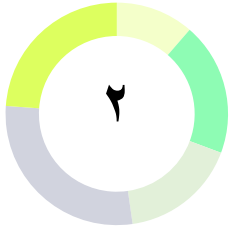

{يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون} [فاطر: ٣]

- فضل اللّه سبحانه وتعالى على عباده بالنعم؛ لقوله تعالى: {اذكروا نعمت اللّه} [المائدة: ١١] وليس نعمة فقط، ولكنها جنس، فيشمل جميع ما أنعم اللّه علينا من نعم الدين والدنيا سواء عادت إلى البدن، أو العقل، أو العرض، أو المال.

- بيان أن اللّه عز وجل له الإيجاد والإعداد والإمداد؛ فالإمداد مأخوذ من قوله تعالى: {يرزقكم من السماء والأرض}؛ لأن الرزق إمداد للإنسان، والإيجاد مأخوذ من قوله تعالى: {هل من خالق غير اللّه يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون} وأما الإعداد فقد أعدنا اللّه لقبول الحق، فإذا كان اللّه أعدكم لهذا القبول والإستدلال بالأدلة على مدلولاتها، فأنى تؤفكون عنها؟

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور} [فاطر: ٤]

- وجوب تحكيم الكتاب والسنة، وأنه لا يجوز العدول عما دل عليه الكتاب والسنة؛ لقوله تعالى: {وإلى اللّه ترجع الأمور} لأن الأمور والشؤون ترجع إلى اللّه، ومنها الحكم بين الناس، فيجب أن يكون مرجعه إلى اللّه.
- أن من حكم غير الكتاب والسنة فقد اعتدى على حق اللّه؛ لأن اللّه قال: {وإلى اللّه} أي: إليه وحده {ترجع الأمور}.
- أنه لا يجوز للإنسان أن يسند ما رزقه اللّه من رزق، سواء كان علما أم مالا أم جاها أم ولدا أم زوجة، إلى نفسه، فيقول: إنما أوتيته على علم عندي؛ لقوله تعالى: {وإلى اللّه ترجع الأمور}.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور} [فاطر: ٥]

- أن من اغتر بالدنيا فإنه مخدوع؛ لقوله تعالى: {فلا تغرنكم} أي: تخدعنكم؛ لأن العاقل لا ينخدع بذلك.
- الإشارة إلى وجوب العناية بالآخرة؟ لقوله تعالى: {فلا تغرنكم الحياة الدنيا} فإذا نهينا عن الحياة الدنيا، فمعناه أننا نلزم أو نؤمر بالعناية بالآخرة؛ لأنها في الحقيقة هي المنتهى، أما هذه الدنيا فإن الإنسان يمرها عابرا فقط، حتى القبور التي يبقى فيها الإنسان من السنوات لا يعلمها إلا الله هي محل عبور
- جواز تنعم الإنسان بالدنيا على وجه لا تغره؛ لقوله تعالى: {فلا تغرنكم} ولم يقل: (فلا تتنعموا في الدنيا بشيء)، بل قال: {فلا تغرنكم الحياة الدنيا}.

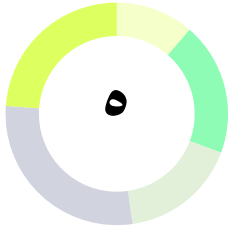

{الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير} [فاطر: ٧]

- أن الأجور تختلف؛ لقوله تعالى: {وأجر كبير} فالأجور تختلف باختلاف العمل، وتختلف باختلاف العامل، وإذا كانت متعدية فإنها تختلف باختلاف من انتفع بها. فمثلا: تختلف باختلاف العمل كما في حديث: "أي العمل أحب إلى اللّه؟ قال: الصلاة على وقتها" والواجب أفضل من المستحب.
- وباختلاف العامل كما في قوله - صلى اللّه عليه وسلم -: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى" وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه".
- وتختلف أيضا باختلاف المحل إذا كانت متعدية، فالصدقة على القريب صدقة وصلة، والصدقة على من هو أشد حاجة أفضل من الصدقة على من دونه، وهكذا.

فاختلاف الأعمال يستلزم اختلاف الأجور أيضا، وتختلف أيضا باختلاف الإخلاص؛ فكلما كان الإنسان في عمله أخلص كان عمله أفضل.

{أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات} [فاطر: ٨]

- من الناس من يعمى قلبه حتى يرى السيئ حسنا ، وفي مقابل ذلك يرى الحسن سيئا؛ لقوله تعالى: {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا}.
- إبهام الفاعل ليشمل كل ما يمكن أن يقع منه هذا الفعل؛ لقوله تعالى: {زين له سوء عمله} وقد سبق أن المزين هو اللّه عز وجل في الأصل، والشياطين في المباشرة.
- عناية اللّه برسوله - صلى اللّه عليه وسلم - في مثل هذه الجملة التي تفيد تسليته وتهوين الأمر عليه وأنه ما من حساب هؤلاء عليه من شيء كما أنه ليس من حسابه هو عليهم من شيء.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور} [فاطر: ٩]

- إثبات صحة القياس؛ لقوله تعالى: {كذلك النشور} وإثبات القياس كثير في القرآن، فكل مثل ضربه الله فهو دليل على القياس؛ فكل مثل سواء للدنيا أو للإنسان أو للأوثان أو لأي شيء، فإنه دليل على ثبوت القياس وصحته؛ لأن المقصود بالمثل قياس المضروب بالمضروب فيه، وهذا هو القياس.

- الإشارة إلى أن إحياء الموتى كإحياء الأرض بعد موتها؛ أي: كما جاء في الآثار أن المطر ينزل على الأرض كمني الرجال، يبقى أربعين يوما تنبت منه الأجسام، ثم بعد ذلك ينفخ في الصور، فتعود الأرواح إلى أجسامها.

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فاطر ص ٧٩

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} [فاطر: ١٠]

- أنه لا عزة بدون اللّه، وذلك بالقيام بطاعة اللّه، والاستعانة به، والاعتماد عليه، فإذا اعتز الإنسان بكثرته فإنه يهزم، كما قال اللّه تعالى: {إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت} [التوبة: ٢٥]، ولو اعتز الإنسان بقوته المادية كقوة السلاح مثلا فإنه يهزم، وإذا استعان باللّه فإنه لا يهزم، اللهم إلا لحكمة تكون مقترنة بتلك القضية المعينة فقد يكون.

- أن العزة لها كل وبعض، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: {جميعا} مما يدل على أن هناك كلا وبعضا، وذلك أن العلماء رحمهم اللّه قسموا العزة التي اتصف اللّه بها إلى ثلاثة أقسام: عزة الامتناع، وعزة القدر، وعزة القهر.

{إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور} [فاطر: ١٠]

- أن الكلم غير الطيب لا يصعد إلى اللّه، لقوله تعالى: {الكلم الطيب} ويؤيد هذا قول النبي - صلى اللّه عليه وسلم -: "إن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبا"
- الإشارة إلى انقسام الكلام؛ لقوله تعالى: {الطيب} فإن هذا الوصف إخراج لما سواه، وأن الذي يقابل الكلم الطيب نوعان من الكلام: الخبيث، وما ليس بطيب ولا خبيث.
- أما الخبيث فمردود بكل حال؛ لأنه خبيث لذاته، وأما ما ليس بطيب ولا خبيث، فهذا القسم من الكلام قد يكون طيبا لغيره، وخبيثا لغيره، وسالما من الوصفين، فإذا كان طيبا لغيره فإنه يصعد إلى أعلى؛ لعموم قوله تعالى: {الكلم الطيب}.

{وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} [فاطر: ١٢]

- بيان قدرة الله سبحانه وتعالى؛ حيث جعل من هذا الماء هذين الصنفين المتباعدين هما بحران من الماء؛ أحدهما: عذب فرات سائغ شرابه، والثاني: ملح أجاج، فهما شيء واحد، ومع ذلك يختلفان هذا الاختلاف.

- بيان الفرق بين تناول اللحوم من هذه البحار وتناول الحلي؛ لأنه قال في اللحوم: {تأكلون} ولم يذكر العلاج الذي نتوصل به إلى هذا الأكل؛ لأنه سهل هين لا يذكر، لكن في الحلية قال: {وتستخرجون} لأنها تحتاج إلى مشقة ومعاناة.

- بيان نعمة الله علينا بنيل ما نطلبه من فضله بواسطة هذه البواخر؛ لقوله تعالى: {لتبتغوا من فضله}

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى} [فاطر: ١٣]

- نعمة الله عز وجل في تسخيره الشمس والقمر لمصالح العباد؛ لقوله تعالى: {وسخر الشمس والقمر}.
- بيان هاتين الآيتين العظيمتين وهما الشمس والقمر، والليل والنهار أيضا، قال الله تعالى: {ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر} [فصلت: ٣٧]، وظهور الآيات فيهما واضح لما فيه من تمام الحكمة والقدرة والرحمة.
- أن الشمس والقمر يجريان؛ أي: يسيران، ففيها رد على أرباب الهيئة الجديدة الذين يدعون أن الشمس والقمر لا يجريان على الأرض ولا يدوران عليها

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فاطر ص ١٢٨

{إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر: ١٤]

- أن ما يدعى من دون اللّه لا يجلب خيرا لداعيه بأي وجه من الوجوه؛ لأن اللّه نفى عنه كل طريق يمكن أن يصل به الخير أو يندفع به الضرر، فقال: {لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم} هذا في انتفاء الخير وعدم إزالة الضرر والشر، زد على ذلك أنه يوم القيامة يكفرون بشرك هؤلاء، وهذا ضرر أعظم.

- أن من تعلق بغير اللّه خاب أمله؛ لأن هذه الأصنام لا تنفعهم في الدنيا ولا تنفعهم يوم القيامة، إذن خاب أملهم، هم يقولون: (إنما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى) ولكن ما قربوهم، بل هذه ما زادتهم إلا بعدا، فأملهم قد خاب، والعياذ باللّه، وخسروا الدنيا والآخرة.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد} [فاطر: ١٥]

- أن جميع الخلق مفتقرون إلى اللّه عز وجل، فمهما بلغوا من الغنى والقوة فإنهم مفتقرون إلى اللّه؛ لقوله تعالى: {يا أيها الناس} وهذا لفظ عام لا يخرج منه شيء.
- بيان شدة حاجة الناس إلى اللّه؛ لقوله تعالى: {أنتم الفقراء} حيث قال: {الفقراء} بالألف واللام، ولو قال: (فقراء) لكان أهون، لكن {الفقراء} معناها أننا في جميع أحوالنا كلها مفتقرون إلى ربنا سبحانه وتعالى.
- و(الغني) يدل على صفة الغنى و (الحميد) يدل على صفة الحمد، ومجموعهما يدل على صفة ثالثة وهي كمال غناه

{إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير} [فاطر: ١٨]

- أن الخشية التي هي محل الثناء هي: ما كانت خشية في الغيب؛ لقوله تعالى: {يخشون ربهم بالغيب} لأن الخشية في الظاهر قد يكون الحامل عليها مراعاة عباد اللّه، لكن إذا كانت بالغيب فإن هذا دليل واضح على أن صاحبها مخلص في خشيته للّه عز وجل.

- الحث على تزكية النفس؛ لقوله تعالى: {ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه} وكل إنسان عاقل إذا علم أن مصلحة العمل تعود إليه فإنه سوف يهتم به ويقوم به، فإذا علمت أن تزكيك لنفسك حرصت عليه غاية الحرص. والتزكي يشمل:
- تزكية القلب بتطهيره من جميع الشرك، والشك، والضغائن، والأحقاد، والبغضاء، وما أشبه ذلك.
- وتزكية الأفواه من كل قول منكر بألا يقول الإنسان إلا خيرا؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".
- وتزكية الأفعال أيضا من فعل الفواحش والأخلاق السيئة، وما إلى ذلك مما يجب على الإنسان أن يتطهر منه.

{وما يستوي الأعمى والبصير} {ولا الظلمات ولا النور} {ولا الظل ولا الحرور} [فاطر: ١٩-٢١]

- بلاغة القرآن؛ حيث ينتقل بسامعه وقارئه من الأمثال الحسية إلى الأمثال المعنوية؛ ذلك لأن الأمثال الحسية لا يمتري فيها أحد ، وليس لأحد أن يجادل فيها؛ لأنك إذا قلت مثلا: (هذه لمبة، وهذا نورها) لا أحد ينازعك فيها؛ لأنه انتقل من المحسوس إلى المعقول المعنوي.

- إذا انتقلنا من المثل الحسي إلى المعنوي فإن طريق الهدى واحد وطرق الضلال متفرقة؛ لقوله تعالى: {ولا الظلمات ولا النور} وذكرنا شاهدا من القرآن على هذا وهو قوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: {اللّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت} [البقرة: ٢٥٧]، فهناك طاغوت يجرهم إلى نوع من الكفر والفسق؛ نسأل اللّه العافية.

{إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤]

- بيان ما يشتمل عليه دين الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الحق الذي ضده الباطل، والباطل إن كان في الأخبار فهو الكذب، وإن كان في الأحكام فهو الجور والظلم.

- أن الإنسان يجتمع فيه خصلتان متضادتان في المعنى وإن كانتا متفقتين في المراد: {بشيرا ونذيرا} لأن المبشر هو الذي يعد الناس بالخير ويفتح لهم باب الرجاء، والمنذر هو الذي يخوفهم من الضار، فبينهما من حيث المعنى تقابل، وهما يجتمعان في عين واحدة.

- بطلان الإحتجاج بالقدر على معصية الله؛ لقوله تعالى: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} ولو كان الإحتجاج بالقدر على المعاصي والمخالفات لو كان ثابتا لم يرتفع بإرسال الرسل؛ لأن القدر لا يرتفع بإرسال الرسل، فالرسل أرسلهم الله سبحانه وتعالى إقامة للحجة على الخلق ورحمة بهم أيضا، لهذا ولهذا.

{وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير} [فاطر: ٢٥]

- تمام حكمة الله عز وجل ورحمته وإقامة حجته، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: {جاءتهم رسلهم بالبينات} لأنه إنما أعطى هؤلاء الرسل البينات لتمام إقامة الحجة والرحمة والحكمة.

- أن من أعظم البينات ما جاءت به الرسل من الشرائع التي تضمنتها الكتب؛ وجه ذلك: التنصيص عليها مع أنها من البينات، وأيضا هو تنصيص أعيد معه العامل {بالبينات وبالزبر} فكأنها مستقلة.

- أن الكتب السماوية متضمنة للنور، وأن كل من أخذ بها فقد أخذ بنور يمشي به في الظلمات؛ لقوله تعالى: {وبالزبر وبالكتاب المنير}.

{ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها} [فاطر: ٢٧]

- التنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يتفكر في خلق اللّه عز وجل؛ لقوله تعالى: {ألم تر أن اللّه} فإن هذا تقرير، والتقرير لا يكون إلا بعد أن ينظر المقرر فيما قرر به حتى يقر به ويعترف.

- بيان قدرة اللّه عز وجل وحكمته ورحمته، وذلك بإنزال الماء من السماء، ففيه قدرة عظيمة؛ أن ينزل هذا الماء الذي يكون بحارا أحيانا يدمر ما مر عليه من البناء ويجترف الأراضي مع أنه ينزل من هذا السحاب الرقيق الذي تخترقه الطائرة كما نشاهد، ويتمزق عندما يمر بالجبال وبالبناء وما أشبه ذلك؛ تنزل منه هذه المياه العظيمة، هذا تمام القدرة.
- وتمام الرحمة: ما يحصل من هذا المطر من الآثار النافعة للعباد.
- وتمام الحكمة؛ لأن هذا المطر ينزل من أعلى حتى يشمل المرتفع والمنخفض من الأرض، ولو كان يمشي مشيا كالأنهار لكان الأسفل من الأرض يروى بالماء بل يغرق، أما الأعلى فلا يصيبه شيء، وهذا من تمام حكمة اللّه عز وجل؛ أنه ينزل من فوق.

{ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود} [فاطر: ٢٧]

- بيان قدرة اللّٰه عز وجل ورحمته وحكمته فيما نرى في الجبال من الجدد المختلفة؛ لأن هذا دليل على القدرة؛ حيث جعل هذا بين هذا ، ودليل على الحكمة؛ لأن الغالب أن ما في بطون هذه الجبال يكون معادن مفيدة للإنسان، كذلك بيان الرحمة بالخلق لإيداع هذه الأشياء في بطون هذه الجبال.

- بيان قدرة اللّٰه عز وجل؛ حيث إنه يجعل بعض الجبال فيها السواد الخالص، وقد يكون الجبل كله أسود ، وأحيانا نرى جبلا أسود وإلى جانبه جبلا أبيض، فهذا كله من تمام قدرة اللّٰه عز وجل.

- ما يترتب على النظر في هذه المخلوقات من الإعتبار والاستدلال بها على ما تتضمنه من صفات اللّٰه سبحانه وتعالى.

{ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور} [فاطر: ٢٨]

- بيان قدرة اللّٰه سبحانه وتعالى باختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام؛ أي: أصنافها وأشكالها؛ لأن اختلاف هذه الألوان - وهي نوع واحد - دليل على القدرة، فبنو آدم مثلا لا يمكن أن يشترك شخصان أو أن يتماثل شخصان في كل شيء أبدا، وإن قدر تماثلهما في الخلقة فسيختلفان في الخلق، والتساوي في الخلق أمر مستحيل؛ لأن الناس يتباينون فيه تباينا عظيما، يتباينون فيه تباينا أشد من التباين الخلقي وإن كان التباين الخلقي أظهر؛ لأنه يشاهد ويرى، لكن التباين الخلقي أشد؛ لأنه لا يمكن أن يتفق الناس فيه أو أن يتساوى الناس فيه أبدا لأن أي كلمة تحصل من أحدهما دون الآخر يحصل فيها التباين.

- فضيلة العلم لكونه سببا في خشية اللّٰه عز وجل، والخشية صفة لها آثار حميدة؛ لأن الإنسان إذا خشي ربه فإنه يتجنب معاصيه ويفعل أوامره خوفا منه سبحانه وتعالى.

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فاطر ص ٢٠٢

{إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور} [فاطر: ٢٩]

- أن الرجاء ينبغي أن يكون في محله، بحيث يكون الإنسان قد عمل عملا يرجو الثواب عليه، أما الرجاء بدون عمل فهو من التمني الذي لا ينفع العبد، وفي الحديث: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللّٰه الأماني" فلا رجاء إلا بعمل. وفي الحديث الصحيح أيضا: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّٰه، وفي الحديث الصحيح: "أنا عند ظن عبدي بي" وكل هذه النصوص وما أشبهها إنما تكون فيمن يعمل ما يمكن أن يرجو به ذلك وأن يحسن به الظن

- أن المنفق ليس مانا على اللّٰه عز وجل؛ لأنه إنما ينفق مما رزقه اللّٰه، فمهما بلغت بك نفسك من الإعجاب والكبرياء على إنفاقك فاذكر قوله تعالى: {مما رزقناهم} كل شيء تنفقه فليس لك فيه منة على اللّٰه عز وجل، بل للّٰه المنة عليك به في إيجاده وفي إنفاقه

{ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور} [فاطر: ٣٠]

- أن طلب الإنسان للثواب غاية عظيمة؛ لأن اللام - كما أشرنا إليه آنفا - للتعليل، هذا إذا قلنا: إنها للتعليل، وهي صالحة للتعليل، فكون الإنسان يعمل من أجل الأجر فإن هذا لا يعد نقصا، خلافا للصوفية الذين يقولون: (لا تعبد الله لثواب الله، ولكن اعبد الله لله) فنقول لهم: هذا خطأ، فالله تعالى وصف أشرف هذه الأمة وخير هذه الأمة بأنهم يريدون فضلا من الله ورضوانا، قال الله تعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا} [الفتح: ٢٩]، ومع ذلك لا نقول: (إنك لا تعبد الله لله) بل اعبد الله لله ولثواب الله؛ فإنك لن تصل إلى الله إلا بعد وصولك إلى ثواب الله، فإن لقاء الله - اللقاء الذي هو الرضا التام - إنما يحصل في الجنة؛ ولهذا قال الله تعالى: {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز} [آل عمران: ١٨٥] هذا الفوز الكامل

- أن جزاء الحسنات أكثر مما يجب؛ لقوله تعالى: {ويزيدهم من فضله}

{والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير} [فاطر: ٣١]

- اشتمال القرآن الكريم على الحق في أخباره وفي أحكامه؛ فأخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.
- أن ما خالف القرآن فهو باطل؛ لقوله تعالى: {هو الحق} فحصر الحق فيه، والحصر إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه، فكل ما خالف القرآن فهو باطل بلا شك.
- إنذار المخالفين لهذا القرآن وبشارة الموافقين له، تستفاد هذه الفائدة من قوله تعالى: {إن اللّه بعباده لخبير بصير}
- علم اللّه تعالى بما تكنه الصدور، تؤخذ من قوله تعالى: {لخبير} وربما نقول أيضا: {بصير} لأن (بصير) بمعنى العليم والمبصر.

{ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات} [فاطر: ٣٢]

- أن القرآن كتاب؛ أي مكتوب، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة، ومكتوب في الصحف التي بأيدينا.
- في قوله تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا} فضل اللّه عز وجل على هذه الأمة؛ حيث أورثها هذا الكتاب العظيم الذي وصفه اللّه تعالى بأنه حق وأنه مصدق لما بين يديه؛ أورثه اللّه تعالى هذه الأمة؛ ففي ذلك بيان فضل اللّه علينا بهذا الإرث.
- أن هذه الأمة أفضل الأمم؛ لقوله تعالى: {الذين اصطفينا من عبادنا} وهم هذه الأمة، واستدللنا لذلك أيضا بآية أخرى وهي {كنتم خير أمة أخرجت للناس} [آل عمران: ١١٠].

{ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات} [فاطر: ٣٢]

- الإشارة إلى الفترة بين عيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم -؛ تؤخذ من (ثم) الدالة على التراخي، وهو كذلك، ولا نعلم فترة أطول منها بالنسبة لما بين الرسالات والكتب المنزلة، فقد قيل: إن أطول ما كان بين آدم ونوح، وهذا أمر قد يشك فيه الإنسان، لكن ما بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام حوالي ست مئة سنة.

  وإنما طالت الفترة لتشتد حال الناس إلى إرسال الرسل، فتأتي الرسالة المحمدية إلى قوم في غاية الضرورة إلى الرسالة والوحي، ويكون لرسالته مزية عظيمة؛ حيث جاءت كالمطر ينزل على أرض مجدبة فتكون أشد قابلية له وأشد تأثرا به.

- تقسيم هذه الأمة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

{وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور} [فاطر: ٣٤]

- أن حمد اللّٰه تعالى يكون على إنعامه وإفضاله وعلى كمال صفاته وهنا قالوا: {الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور} فحمدوا اللّٰه على إنعامه عليهم وعلى كونه غفورا شكورا.

- كمال الفرح والسرور لأهل الجنة؛ لقوله تعالى: {أذهب عنا الحزن} فإن هذه الصفة السلبية تدل على كمال ضدها فإذا كان الحزن منفيا عنهم كان ذلك دليلا على كمال سرورهم وأنه سرور لا يشاب بحزن أبدا بخلاف سرور الدنيا؛ فإن سرور الدنيا مهما عظم مشوب بالكدر.

- أن نعيم الآخرة ينسي كل ما سبقه من حزن؛ لقوله تعالى: {أذهب عنا الحزن} وذهاب الحزن هنا ذهاب لما قد وجد، ولما يتوقع وجوده فلا يمكن أن يمسه فيها حزن.

{أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب} [فاطر: ٣٥]

- فضيلة أهل الجنة بإضافتهم النعيم إلى المنعم به؛ لقوله تعالى: {الذي أحلنا دار المقامة من فضله} فنسبوا الأمر إلى الله وإلى فضله: {الذي أحلنا دار المقامة من فضله} وهذا غاية الثناء والحمد.
- أن دار الجنة دار إقامة، فكل إنسان لا يتمنى أن يزول عن مكانه منها حتى من كانوا في الدرجات غير العالية يرون أنهم في أكمل النعيم؛ لقوله تعالى: {دار المقامة}.
- تأبيد الجنة؛ لإطلاق قوله تعالى: {المقامة} ولم تقيد بزمن.
- أن بلوغهم إلى هذه الدار ليس بحولهم وقوتهم، ولكن بفضل الله عز وجل؛ لقوله تعالى: {من فضله}

{والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور} [فاطر: ٣٦]

- أن أهل النار يتألمون منها ومن عذابها وعقابها؛ لقوله تعالى: {لا يقضى عليهم فيموتوا} لأنهم لو ماتوا لاستراحوا، فيكون في هذا رد على قول من يقول - من المعتزلة وغيرهم -: إن أهل النار يكونون أو تكون النار فيهم طبيعة فلا يحترقون فيها ولا يتألمون منها، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن، وخلاف ما دل عليه العقل.

- أن هؤلاء - أعني أهل النار - لا يخفف عنهم من عذاب النار أبدا لا في كيفيته ولا في نوعه ولا في زمنه؛ لقوله تعالى: {ولا يخفف عنهم من عذابها}.

- دليل على كمال قدرة الله عز وجل؛ حيث تبقى هذه النار أبد الآبدين - والعياذ بالله - لا تتغير، والمعروف في نار الدنيا أنها مع طول الزمن تتغير وتنقص وتطفأ حتى لا يكون لها أثر، أما في نار جهنم فإنها تبقى أبد الآبدين، لا ينقص عذابها ولا حرارتها.

{وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير} [فاطر: ٣٧]

- إقرارهم بأن أعمالهم في الدنيا غير صالحة؛ لقولهم: {نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل} وهم كما يقرون بأن أعمالهم في الدنيا غير صالحة يقرون بأنهم غير عقلاء أيضا؛ لقولهم {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير} [الملك: ١٠] ولكن لا ينفعهم هذا لأنه بعد فوات الأوان؛ وانظر إلى جوابهم {أولم نعمركم ... } إلى آخره.

- أن الله عز وجل أقام على الكافرين الحجة من وجهين:

أولا: أنه عمرهم وقتا يمكنهم أن يتذكروا فيه.

ثانيا: أنه جاءتهم رسل فلا عذر لهم.

- توبيخ أهل النار بمثل هذا الكلام؛ لأن هذا الكلام قد يكون أشد عليهم من العذاب لما فيه من التنديم وتجديد الحزن عليهم والتمني الذي لا ينفعهم.

{إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور} [فاطر: ٣٨]

- التحذير من أن يضمر الإنسان في قلبه ما لا يرضاه اللّه ثم تحدثه نفسه بأن هذا لا يطلع عليه إلا اللّه، فيغتر بإمهال اللّه له؛ وجه ذلك: {إنه عليم بذات الصدور}.
- العكس: وهو أن الإنسان إذا أضمر في قلبه خيرا فإن اللّه يعلمه وسوف يثيبه عليه.
- الإشارة إلى أن المدار على ما في القلب؛ لقوله تعالى: {بذات الصدور} وذات الصدور هي القلوب؛ لأنها الساكنة فيها؛ كما قال اللّه تعالى: {ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج: ٤٦].

{فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا} [فاطر: ٣٩]

- بيان شؤم الكفر وعاقبته؛ لقوله تعالى: {فمن كفر فعليه كفره}.
- أن كفر الكافر على نفسه لا على غيره، وهو كقوله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} [فاطر: ١٨] وأوردنا على هذه الجملة إشكالا وأجبنا عنه.
- إثبات صفة البغض لله عز وجل، بل إثبات صفة المقت الذي هو أشد البغض؛ لقوله تعالى: {إلا مقتا} والمقت من صفات الله الفعلية؛ لأن كل صفة تقرن بسبب، فهي من الصفات الفعلية لأنها حينئذ تتعلق بمشيئة الله؛ إذ إن السبب واقع بمشيئته، والسبب هو الذي علقت به الصفة فتكون الصفة إذن واقعة بمشيئته.

{قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتابا} [فاطر: ٤٠]

- قوة القرآن في أسلوب المناظرة، وذلك بالترديد والتقسيم، وجهه أن اللّه تحداهم بثلاثة أمور: هل خلقوا شيئا من الأرض؟ هل شاركوا اللّه في السماء؟ هل عندهم كتاب من اللّه أن هذه الأصنام تنفعهم وإن لم تكن شريكة للّه في السموات ولم تخلق شيئا من الأرض؟

- والجواب: لا، ولو خلقت شيئا من الأرض لكان لها الحق لأنها تخلق، ولو شاركت اللّه في ملكه في السماء لكان لها الحق لأنها شريكة للّه عز وجل في ملكه، ولو كان اللّه أنزل كتابا يقول بأن هذه الأصنام لها الحق أن تعبد وتدعى من دون اللّه لكان لهم شبهة أو حجة، فلما انتفت الأمور الثلاثة تبين أنه لا حجة لهم.

{قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتابا} [فاطر: ٤٠]

- أنه ينبغي في المناظرة أن تذكر جميع الأقسام التي يمكن أن ترد في الذهن ثم تبطل؛ احترازا مما لو ذكرت شيئا واحدا ثم بينت بطلانه فقد يورد عليك شيء آخر؛ لأنه كما أن القول الحق لا ينحصر إثباته بدليل واحد، فكذلك الباطل لا ينحصر إيراد الشبه فيه في شبهة واحدة، فإذا أردت أن تفحم خصمك لا تأت بشبهة واحدة، ائت بجميع ما يمكن ويحتمل أن يكون شبهة لتبطله حتى يكون عندك القوة الكاملة التي لا يمكن أن يورد عليك أحد منها خللا.

- لا أحد يخلق مع اللّه {أروني ماذا خلقوا من الأرض}؛ فإن قلت: يرد عليك أن اللّه أثبت أن هناك خالقين في قوله تعالى: {فتبارك اللّه أحسن الخالقين} [المؤمنون: ١٤] وفي قول الرسول - صلى اللّه عليه وسلم -: "يقال لهم - أي المصورين - أحيوا ما خلقتم"

{إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا} [فاطر: ٤١]

- بيان رحمة اللّه عز وجل بعباده؛ حيث سخر لهم السموات والأرض - بل سخر لهم ما في السموات والأرض أيضا - وهذا من كمال رحمته، فلولا رحمة اللّه عز وجل بعباده لوقعت السموات على الأرض وهلك الناس وما ترك عليها من دابة.

- أن السموات والأرض مخلوقتان من جملة المخلوقات، مسخرتان بأمر اللّه؛ ففيه رد على الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم وقدم الأفلاك وأن الفلك التاسع - كما يزعمون - هو المدبر لما تحته! !

بل نقول: هذه الأفلاك كلها مخلوقة للّه مسخرة بأمره، ولو شاء اللّه عز وجل أن تزول لزالت ولم يستطع أحد أن يمسكها؛ وجه الفائدة: أنها مخلوقة من مخلوقات اللّه فليست قديمة، فإن إمساكها دليل على أنها قائمة بأمره.

{إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا} [فاطر: ٤١]

- إثبات العلة والسبب في أفعال الله عز وجل، لقوله تعالى: {إنه كان حليما غفورا}.

- وإثبات العلل في أفعال الله أو في أحكامه يدل على كماله لا على نقصه خلافا للناقصين الذين زعموا أن إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه تدل على النقص؛ ولهذا نفوا الحكمة عن أفعال الله وأحكامه؛ يقولون: لأن ذلك يقتضي النقص وأنه فعل لغرض أو حكم لغرض، والفاعل لغرض ناقص بدونه، وعلى هذا فيكون نفي الحكمة عن أفعال الله وأحكامه من تنزيه الله تعالى عن النقص! وفي الحقيقة: أن أي إنسان يعتقد أن إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه نقص فهو الناقص، حتى إن الإنسان بمجرد ما يتأمل في المسألة يعرف أن من فعل لغير حكمة فقد أتى سفها، ومن فعل لحكمة فقد أتى رشدا؛ لأن الرشيد هو الذي يفعل الشيء لحكمة وحسن تصرف والسفيه بالعكس؛ ولهذا قال الله تعالى: {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما} [النساء: ٥].

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فاطر ص ٢٩٢

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا} [فاطر: ٤٢]

- أن الإنسان إذا كان في عافية أو إذا كان قبل أن ينزل به الأمر قد يجد من نفسه القوة على تنفيذه فإذا نزل به الأمر تغيرت حاله؛ وجه الدلالة: أن هؤلاء أقسموا باللّه لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما جاءهم النذير تغيرت حالهم، وهذا يقع كثيرا للبشر، فما دام الإنسان لم ينزل به الأمر يظن أنه قادر عليه فإذا نزل به الأمر عجز عنه؛ ولهذا ينبغي للإنسان ألا يتعجل فيحكم على نفسه بالحال التي كان فيها سالما من نزول الأمر به، بل ينتظر حتى ينزل به الأمر

- الإشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان النذر - أي أن ينذر الطاعة - لأنه قد لا يوفق في القيام بها، فهؤلاء أقسموا ولما وجد موجب الطاعة لم يقوموا بالطاعة.

{استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله} [فاطر: ٤٣]

- تسمية أعمال الكافرين مكرا؛ لقوله تعالى: {ومكر السيئ} وأن أعمال الكافرين تنقسم إلى قسمين: قسم يجاهرون فيه بكفرهم ولا يأتون به على سبيل المكر، وقسم آخر يأتون به على سبيل المكر، والثاني أشد؛ ولهذا ما مكر قوم بأنبيائهم إلا مكر الله بهم وآخرهم محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ حيث اجتمع القوم في دار الندوة يتشاورون ماذا يفعلون به فمكر الله بهم سبحانه وتعالى

- أن من أراد السوء حاق به السوء؛ لقوله تعالى: {ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله} ومن قواعد العامة يقولون: (من حفر لأخيه حفرة وقع فيها) فالإنسان إذا أراد المكر، والعياذ بالله، فإن مكره يحيق به.

{فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا} [فاطر: ٤٣]

- أن سنة اللّه عز وجل في عباده واحدة فكل من أطاع اللّه أثابه وكل من عصى اللّه عاقبه؛ لقوله تعالى: {فلن تجد لسنت اللّه تبديلا ولن تجد لسنت اللّه تحويلا} ولا يقال مثلا إننا أمة شرفنا اللّه عز وجل وعظمنا وكرمنا فلا يؤاخذنا كما آخذ من قبلنا، بل نقول: إن مقتضى التشريف أن نكون نحن أشد عبادة له ممن سبقنا؛ لأن الإنسان إذا كرم ينبغي أن يقوم بمقتضى هذا التكريم، وليس إساءة من لم تكرمه إليك كإساءة من أكرمته بلا شك؛ ولهذا كل من كان مغتبطا بنعمة اللّه عز وجل وجب عليه من شكر نعمة اللّه ما لا يجب على من سواه.
- كمال قدرة اللّه عز وجل وحكمته؛ حيث إن سنته لا تبدل ولا تغير؛ لقوله تعالى: {فلن تجد لسنت اللّه تبديلا ولن تجد لسنت اللّه تحويلا} وجه كونها من كمال القدرة: أن العاجز لا يستطيع أن يجعل أفعاله على وتيرة واحدة، بل قد تتخلف وتتغير لعجزه عن الاطراد، وأما كونه من تمام الحكمة فلأن معاقبة السابقين كان لسبب، وهذا السبب إذا وجد في الآخرين فإنه يعمل عمله لأن مقتضى الحكمة أن الأسباب لا تتخلف عنها مسبباتها؛ ففي قوله: {فلن تجد لسنت اللّه تبديلا ولن تجد لسنت اللّه تحويلا} فيها إثبات تمام القدرة وتمام الحكمة.

{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة} [فاطر: ٤٤]

- أن في التاريخ عبرا يعتبر بها العاقل؛ لقوله تعالى: {أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم}.
- استعمال قياس الأولى؛ لقوله تعالى: {وكانوا أشد منهم قوة} فإذا كان اللّه تعالى أهلكهم مع كونهم أشد منهم قوة، فإن إهلاك هؤلاء من باب أولى.
- أن قوة البشر مهما عظمت لا تمنع من اللّه شيئا؛ لقوله تعالى: {فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة} ولذلك لما قالت عاد: من أشد منا قوة، قيل لهم: {أولم يروا أن اللّه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة} [فصلت: ١٥].
- أن في السير في الأرض قلبا أو قدما عبرة لا للمرسل إليهم، بل وللرسل أيضا؛ فإن إهلاك المكذبين للرسل انتصار للرسل، فمعلوم أن اللّه إذا أهلك عدوك فإنه انتصار لك بلا شك.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فاطر

{ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى} [فاطر: ٤٥]

- سعة حلم اللّه سبحانه وتعالى، وجهه: أنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك عليها من دابة، ولكن يحلم عز وجل ويمهل؛ لعل الناس يتوبون.
- تمام قدرة اللّه تعالى؛ حيث يقدر على إهلاك العالم بلحظة؛ لقوله تعالى: {ما ترك على ظهرها من دابة}.
- بيان شؤم المعاصي وأنها قد تعم العاصي وغيره، بل المكلف وغير المكلف، وإلا فهذه الدواب التي هي أكثر بكثير من البشر ومن الجن ما ذنبها وهي غير مكلفة؟ لكن هذا من شؤم المعاصي وأنها تشمل حتى من ليس بمكلف.

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فاطر ص ٣٢٥

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة

(فاطر)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1